دكتاتورية الكاتب

•جمال ناجي

أحيانا يصنع الروائيون عالما من الاحداث والشخصيات كي يمارسوا دكتاتوريتهم فيه وعليه ، فيعتسفون الحلول ويقومون بتنصيب الشخوص أو إقصائها أوالتنكيل بها.

هم أحرار في ما يفعلون بشخوص وأحداث رواياتهم التي يبدعونها ، لكنهم ليسوا أحرارا حين ينتقلون بهذه الدكتاتورية من واقعها الروائي الى واقع العلاقة بين النص وقارئه، الذي قد يتحول الى ضحية للكاتب .

كيف يحدث هذا ؟

الأمر ببساطة، يتم حين يجد القارئ نفسه مضطرا لقراءة نص روائي مكون من سلسلة رباعيات أو خماسيات أو سداسيات تقع في آلاف الصفحات التي لا تستطيع تقديم ما يكفي من المسوغات لوجودها بهذا الكم الفلكي !

وبصرف النظر عن أهمية كتاب تلك السلاسل وأحداثها وشخوصها، فإن من حق القارئ ان يسأل : لماذا كل هذا التعذيب ؟ ألا يستطيع الكاتب قول ما يريد الا اذا سوّد آلاف الصفحات ؟ وهل يتطلب نقل الأفكار كل هذه الأعداد من الكلمات والثرثرات؟

لا بد من معالجة هذا الخلل ، فنحن نتحدث عن نوع فريد من الدكتاتورية التي يمارسها عدد من الروائيين على متابعي تجاربهم الإبداعية بحكم العلاقة القرائية الزمنية غير الملموسة بين الطرفين .

إن اول ما يتوجب التفكير فيه من اجل حل هذه الإشكالية هو: الوقوف بحزم امام المطولات الروائية ، واعتبارها نتاجا غير متوازن لوعي شقي لم يتوصل بعد، الى حقيقة متطلبات عصرنا وتسارع وتائر العيش فيه، وإلى الاختلافات الجذرية بين واقعه الماحق السريع، وبين ما سبقه من عصور تميزت بالاسترخاء الذهني الذي سمح بظهور هذا النوع من الديناصورات الروائية.

الأمر الآخر الذي لابد من فعله من أجل الحفاظ على بقاء فن الرواية، هو البحث عن وسائل ناجعة، او اقراص نقدية تكفل معالجة حالات الاسهال الروائي، ايا كان مصدرها ومصدورها، حفاظا على اسراب القراء الذين بدأوا يهجرون الرواية، ويسافرون في اصقاع البرامج التلفزيونية، وأفلام الرعب والبشاعة ، ومستحضرات الانترنت، ومنتجات الخيال العلمي التي تضمن لهم اوقاتا ممتعة شيقة، بمنأى عن ذل قراءة التراويح الروائية التي ينخلع العقل والكتف في آن معا عند قراءتها، خصوصا حين لا ترتقي الى مستوى الوقت الذي يتم هدره في تقليبها وتصفحها!

لا بد ايضا من الافادة من تجربة " ثورة التكنولوجيا " التي اختصرت المسافات والخطوات، واستغنت عن الاجهزة الضخمة، وكثفت فاعليتها وتأثيرها المذهل حين استبدلت بتلك الاجهزة الهائلة التي لم تعد تنتمي الى حاضرنا، شرائح وجسيمات صغيرة محكمة وقادرة على انتزاع اعترافنا واعجابنا وقبولنا.

صحيح أن الامر في الرواية مختلف، لكن ما الذي يحول دون ادخال عناصر التكثيف الى البناءات الروائية من دون الخلط بين التكثيف القصصي والروائي؟

بوسعنا الآن أن ندعي بأن ليس لدى كاتب المطولات من يقرأه ، هذه هي الحقيقة المؤسفة المسكوت عنها ، ذلك ان تلك الروايات - ذات الأحجام الخرافية - لا تختلف كثيرا عن الاجهزة الضخمة البائسة التي تم الاستغناء عنها ، بعد ان تبين احتواؤها على الكثير من الزوائد والاضافات وسواها مما امكن اختصاره بمبتكرات دقيقة تؤدي اغراضها بفاعلية اكبر.

اذا كانت الرواية جديرة بالبقاء، او اذا كان بقاؤها ضرورة —وهذا ما نحسبه —فان على كتابها ان يلجأوا الى الاقتصاد فيما يكتبون، بما في ذلك، التخلص من الشخصيات والاحداث التي لا لزوم لها، والتنازل " المؤلم " عن العبارات والاسترسالات التي يطيب للكثيرين من الكتاب ان يبقوا عليها بسبب اعجابهم وافتتانهم بسلاستها ومفرداتها.

على الجانب الآخر نجد امتثالا مغلوطا لمتطلبات العصر لدى المصابين بالاسهال الروائي، فبدلا من اعتصار الفكرة واختصار الحدث وتجسيدهما بأقل التكاليف اللفظية والتعبيرية، فقد لجأ الكثيرون منهم الى التقليل المهين لعدد صفحات الرواية الواحدة، وإصدار عدة روايات خلال عام واحد ، مع الابقاء على الادوات والاضافات والزوائد التي يستخدمها كتاب المطولات التي تدمر الاحداث والشخوص، وتحد من فاعليتها وتحاصر ابعادها واشعاعات أفكارها.

اذا كان ثمة من يرى في كلامنا هذا، هجوما أو تجنيا على تلك التراويح، أوعلى الاستسهال والاختصار الكمي لا الكيفي، فان الجواب يأتي في سياق احتياجات عصرنا وكيفيات التأثير فيه، اذ كيف يمكننا عقد التوازن بين الاسترخاء والتثاؤب ، وبين سرعة الضوء التي تتحرك فيها الاحداث والتغيرات هذه الايام؟ كيف يمكننا قبول فوضى المطولات والروايات المتفسخة الممزقة، في الوقت الذي يمعن الآخرون في تقديم الاعمال والابداعات والابتكارات المحكمة، ليس في ميادين التكنولوجيا وحسب، انما ايضا في الآداب والفنون؟

بقي ان الأجيال القريبة القادمة ، سوف تشهد دون ذهول، عمليات الانقراض التدريجي المحزن للديناصورات الروائية ، إذا لم يتدارك كتابها ونقادها والمصفقون لها هذا الخلل الروائي الكمي .

من رسائل فؤاد التكرلي

يستذكرها: باسم عبد الحميد حمودي

عندما كان فؤاد التكرلي مقيما في تونس في التسعينيات كان قريبا منا، انا والمرحوم موسى كريدي الذي كان واحدا من اصدقائه الحميمين. كنا نتواصل معه فنعرف ما عنده ويعرف ما عندنا قدر المستطاع، فليس كل ما يعرف يقال، وحين نعيت اليه موسى كريدي وهو بعد في اوج عطائه تألم كثيرا وكتب شيئاً عن الحزن الذي يغلفه هو دوما.

سانشر الرسالة ذات يوم وهذه الرسالة التي انشرها لفؤاد تتحدث عن مسودة كتاب لي انتهى بأن صدر في بغداد تحت عنوان (سحر الحقيقة) عام ٢٠٠٠ .

ففؤاد في هذه الرسالة يتحدث عن فقدانه الشخصي لعبد الملك نوري وفقدان الادب العراقي له ويسأل عن اصدقائنا ماجد صالح ونزار عباس ويوسف الصائغ (رحمهم الله) ويتحدث عن نشاطاته في تونس وكتاباته. وقد ارفق برسالته نصا نشره في (لندن) تحت عنوان (غيمات) ويصفها بانها محاولة للتعبير عن تغيير الدلالة عند اختلاف بعض المعطيات البسيطة، وقد طلب مني نشرها في احدى المجلات الثقافية ببغداد فلم أوفق!.

وفيما يلي نص الرسالة:

تونس: ١٩٩٨/١٢/١

عزيزي أبا شهرزاد

تحية ومودة

استلمت رسالتك المؤرخة ١١/٣ منذ حين وكنت قد استلمت عدداً آخر من مجلة (الثقافة الاجنبية) والتراث الشعبي. ألف شكر. وعن كتابك عن السحر، كنت فاتحت احد الناشرين بشأنه فأبدى اهتماما بموضوعه وتمنى عليّ ان يطلع عليه.. هذه الدار تهتم بالمواضيع التي تخرج عن المألوف قليلا وكتبها أنيقة ذات مظهر جميل.. انا احثك اذن على اكمال كتابك وعسى ان تستطيع ارساله مع احد القادمين الى تونس.

عزيزي باسم

كان فقدان عبد الملك لي وللأدب العراقي عموما ضربة للقلب تضاف إلى الضربات والجروح الكثيرة التي تعودنا ان توجه الينا من كل صوب.. يهمني ان اطلع على ما كتبته عنه، فارجو ان ترسله لي ان أمكن.. نشرت عنه مقالا مطولاً مع بعض الصور في احدى الجرائد في لندن. هل اخبرتك بذلك؟ لعلي ارسل لك صورة منه يوماً ما .

أخبار الجماعة.. ماجد ونزار ويوسف.. سرتني. هناك قلق في النفس مستمر على العراق والعراقيين ولذلك تصير هذه الاخبار القصيرة ذات اهمية خاصة لنا.. تمنياتي لهم جميعا بالصحة وبراحة البال وبما يمكن من سعادة.

ارسل لك الاقصوصة التي كتبتها اخيرا ونشرتها في احدى الجرائد في لندن "غيمات" هي محاولة للتعبير عن تغير الدلالة عند اختلاف بعض المعطيات البسيطة. ارجو ان تستلمها وان تكون ملائمة لاحدى المجلات. اكتب وانشر بعض ذكرياتي عن الطفولة وعن بعض اللقاءات مع الأدباء لعلي ارسل لك بعضها يوما ما .

عزيزي باسم..

هل أمكنك الاطلاع على "المسرات والاوجاع" قد يستطيع حسين الحسيني ان يدبر لي نسخة منها.. لقد شحت النسخ القليلة التي منحت الي وسأطالب بنسخ أخرى.

كتبت عنها بعض المقالات في "الحياة" و"العرب" . أحر تحياتي للأخوة نزار ويوسف وماجد. اشعر بالدفء الروحي وانا اذكر اسماءهم. بارك الله فيكم جميعاً .

ختاماً.. خالص محبتي واعتزازي لك وتسلم للمخلص

فؤاد التكرلي

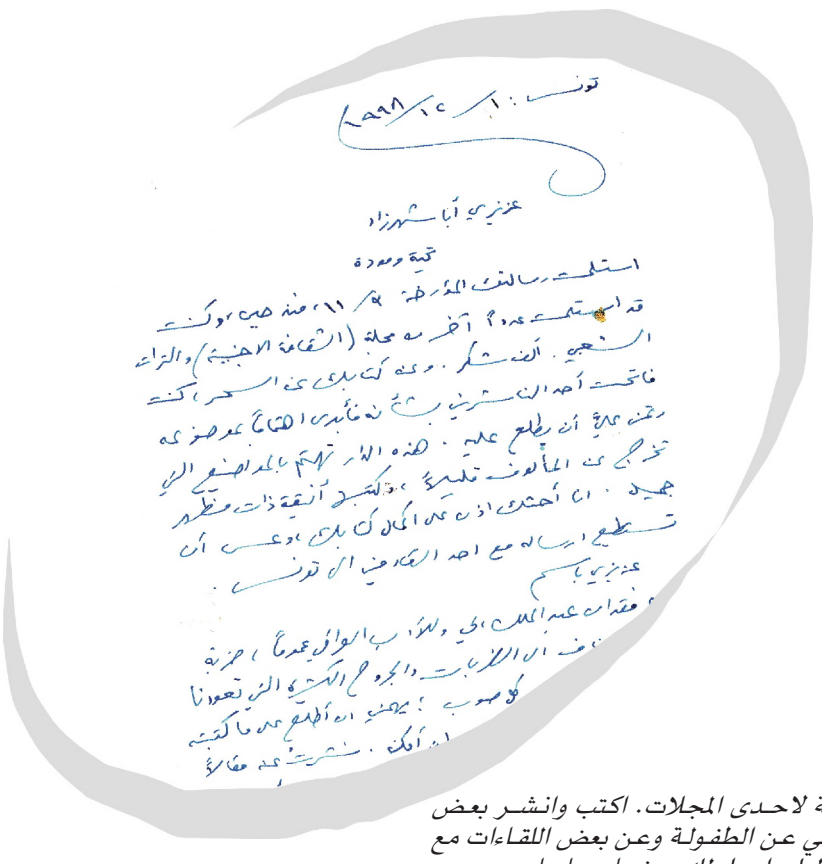

الفتاوى الثقافية الكاملة لسماح ادريس

نصيف فلك

انطلقت هذه الايام سباقات مارثون ثقافي للفوز بجائزة "الشرف" التي اعلن عنها رئيس تحرير مجلة الآداب البيروتية بوثيقة الفقاعة السامة التي انفجرت على رأسه، وحدث لغط كثير متورم وصل حد المحاكم.

والسائد المعروف لدى الاوساط الثقافية قصة انهيار تأريخ دار الآداب ومجلتها من خلال انحرافها عن المسار الانساني الى الايديولوجية القومية، التي تكرس نفي واحتقار الآخر، وتصاعدت حدة الانحراف على يد سماح ادريس فصارت احد مناهج التطرف التي ترفد جذور عقائد تغذي عقل الارهاب ومدارسه في التخوين والتكفير والصاق التهم الجاهزة في ثلاجات العقل العربي، العقل الذي استقال عن العمل والتفكير منذ سقوط الدولة العباسية الى اليوم. سماح ادريس نصّب نفسه "مفتي " ديار الثقافة العربية، اذ اصدر مجموعة فتاوى خطرة تشبه فتاوى ايمن الظواهري الذي كفّر الشعب المصري برمته. والغريب انه يتعكز ويستند مستشهداً بأقوال "الشاعر " سعدي يوسف الذي تدلى من تحت ذقنه ورم الغدة الطائفية وصار مرضه امثولة عند الحديث عن النكوص الى مثقف طائفي، خاصة بعد تحالفه القومطائفي مع عبد الباري عطوان، صاحب جريدة القدس اللندنية وكيف ينكر وجود شيء اسمه المقابر الجماعية واعتبرها اسطورة توراتية، على العكس تماماً من الشاعر محمد الماغوط، الذي شخص امراض الثقافة العربية حين قال: الوحدة الحقيقية في اي بلد عربي/ هي المقابر الجماعية. كلما امطرت الحرية في اي مكان في العالم/ يسارع كل نظام عربي الى رفع المظلمة في شعبه/ خوفاً عليه من "الزكام.

فخ الشرف

ان مجرد ذكر كلمة "شرف " في هذه الوثيقة المسماة "ميثاق شرف بين انصار الكلمة الحرة " يعني استجداء الشرف، وخلوها من دلالاته الثقافية والشعبية. ففي العراق يتعزز الناس ويقرفون من كلمة "شرف " من كثرة ما ادمن عليها صدام في خطاباته ولقاءاته التي تحولت الى امراض مزمنة يعاني منها العراقيون. وكان القائد الضرورة يعني بكلمة "الشرف " الخسة والنذالة، فمعنى "الشريف " لديه ان يبلغ الابن الطفل السلطة عن ابيه لانه اغلق جهاز التلفزيون حين ظهر صدام، وعنده "الشرف " ان يتجسس الاخ على اخيه والزوجة على زوجها. الشرف عند صدام ومن يحب صدام: هو استجواب المعتقل وانتزاع الاعتراف بتعذيب طفله الرضيع صعقاً بالكهرباء. وقائمة "الشرف" ستطول اذا ما احصيناها فقد تتجاوز طول خط الاستواء ابتداء من رمي احشاء محبي الزعيم عبد الكريم قاسم سنة ١٩٦٣ في الشوارع للكلاب الى حفلة الاعدام العلنية بعد استيلاء البعث على السلطة مرة ثانية سنة ١٩٦٨ في ساحة التحرير وحتى لاستدراج جيوش العالم الى العراق سنة ٢٠٠٣, فهل يعي "الشيخ " سماح ادريس الان معنى كلمة "الشرف " ولماذا يتقزز منها الشعب العراقي؟

وهذه بعض فتاوى "الشيخ " سماح ادريس التي اطلقها من "منبر " مجلة الآداب: (بين ٢٩ نيسان و٦ أيار من هذا العام أُقيم "مهرجانُ المدى الثقافي الخامس" في أربيل، عاصمةِ إقليم كردستان. العراق.

فلم تَبقَ جريدةٌ لم تُدعَ إلى هذا المهرجان، وتدفّقت المدائحُ السلطانيةُ لنشاطات المهرجان وراعيه ("الرئيس" جلال الطالباني) ومديره الناشرِ الزميلِ فخري كريم "الذي يساوي وحدَه ورشةً كاملةً" بحسبِ ما كتب الصديق أحمد بزّون في جريدة السفير.(٤) وباستثناءِ انتقاداتٍ خفيفةٍ من قَبيلِ تذمّرِ بعضِ الصحافيين (بزّون) من ضعفِ التنظيم أو خلوِّ شوارعِ كردستان من أيةَ ملامحَ للغة العربية، أو انتقاداتٍ أقوى من قَبيلِ تذكيرِ صحافيين آخرينَ (وائل عبد الفتّاح) بأنّ أسبوعَ المدى الثقافي "أُقيم برعايةِ نظامٍ حَفَرت طريقَه الدبّابةُ الأميركيةُ" وبأنّ السيد فخري كريم صادفَ قبل وضعه الراهن "سنواتٍ من الجدل بشأن أدوارِه السياسيةِ والثقافيةِ قبلَ السقوطِ المدوّي لصدّام،"(٥) فإنّ التغطيةَ الصحفيةَ والإعلاميةَ لمهرجان المدى أَسقطت فرصةً مهمةً أمام القرّاء لمعرفة واقعِ الحالِ في كردستان. العراق، وواقعِ "المُشرفين" على الوضعِ الثقافي في العراق ككل.

وأكثرُ ما عَلِقَ في ذهنِ قرّاءِ الصفحات الثقافية العربية بشأنِ المهرجان المذكور هو ضخامتُه (٨٠٠ مثقف عربي وكردي وأجنبي).

مجانين المؤامرة

ذكر "الشيخ " سماح ادريس بلسان وائل عبد اللطيف: بان اسبوع المدى الثقافي اقيم برعاية نظام حفرت طريقه الدبابة الاميركية.

ان جملة "المجيء فوق ظهور الدبابات الاميركية " نعق بها جميع المدافعين عن البعث وصدام بعد السقوط المدوي السريع لبطل العرب، وراحت تلوكها الالسن مع الفلافل القومية ودخلت هذه الجملة مع كلمة "احتلال التي يقولونها بصيغة كلمة حق يراد بها باطل "، دخلت في الصناعات البلاستيكية تحمل ماركة الثقافة القومية تحت عنوان "البلاستيك المعاد "، فلا بد هنا من تذكير كل من نطق بها هذه المعلومة الصغيرة جداً: عدم وجود أية واسطة نقل سوى الدبابات فهل من المعقول ان يمشي المنفيون خارج العراق آلاف الكيلو مترات على الاقدام؟ هل فهم الان "شيخ " سماح ادريس لماذا استقل الناس الدبابات الاميركية؟ كما ذكر عبارة "تآمر ثقافي "، طبعاً لو لم تكن هذه العبارة غير موجودة لظن القراء ان الكاتب اجنبي. فمن آخر المستحيلات ان يتنفس اي مواطن في جميع البلدان العربية من دون اوكسجين المؤامرة. حبيبتنا الحسناء هي المؤامرة تأكل وتشرب معنا، لولا وجودها لبقينا "العرب " هائمين على وجوهنا في صحراء الربع الخالي مثل مجنون ليلى او ربما تبعثرنا في شتى اصقاع العالم كالغجر. المؤامرة هي الهواء والزاد ومعنى الوجود وسبب بقائنا على قيد النجاة. ان سر حضارتنا التي يفتخر بها العالم اليوم هي المؤامرة الحبيبة. لذلك يرفع جميع المثقفين آيات الشكر والولاء لحضرة "الشيخ " الجليل سماح ادريس، راجين له دوام الصحة وعافية المؤامرة. وذكر مصطلح "الوطن العربي " وهو خطأ شائع وقع فيه الكثير وتكسرت ارجلهم، مصطلح "الوطن العربي " فضيحة جهل مدقع بالتاريخ، اذ لا يوجد شيء اسمه "الوطن العربي " ولم يتحقق مطلقاً في اي حقبة من التاريخ، حدث زواج مؤقت بين مصر وسوريا سرعان ما تم الطلاق، والخوف كل الخوف من تفتت الدولة الواحدة الى دويلات اذا ما واصل النازيون العرب ادمانهم على وهم "الوطن العربي".

مفخخات تحديد النسل

ومن جملة ما دبّجه "الشيخ " سماح ادريس "رض رض " في مجموعة الفتاوى الكاملة: هل تعلمون واقع الموساد "المخابرات الاسرائيلية " هناك؟ صحيح ان العراق يعاني من ظاهرة "الانفجار السكاني " وكارثة اطعام الملايين الجائعة، لذلك نصح سدنة العقيدة القومية صدام ان يلجأ في تحديد النسل الى الحروب والمقابر الجماعية واعدام كل من يرفع رأسه او يفتح فمه ولو بالتثاؤب، وبعد استقالة الرئيس بقوة الطائرات والدبابات نصح سدنة العقيدة الاسلاموية "امراء المجاهدين " الى تطويع كل من يجد في نفسه شذوذ الانتحار لمعالجة الانفجار السكاني في العراق وتحديد النسل بواسطة السيارات المفخخة والعبوات الناسفة واللعب على حرب طائفية، وهكذا تراكض بعض السعوديين والمصريين والليبيين وووو حتى تطوع الافغان والشيشانيون ومن وجد في نفسه علة شذوذ الانتحار لتدارك تفاقم نفوس العراقيين. وينصح اليوم "الشيخ " سماح ادريس بفتواه مجاهدي القاعدة والرفاق البعثيين في استدراج المزيد من الانتحاريين حين يوجه اللوم اليهم وهو يسألهم: هل تعلمون واقع الموساد هناك؟ انه مخلص في دعوته لثقافة تحديد النسل وثقافة الترشيد في استهلاك الهواء والماء والطعام، ويتوقع الوسط الثقافي منح "الشيخ " سماح ادريس جائزة نوبل لأسهاماته العظيمة في توفير استهلاك الحياة.

اما عن فتواه الكيدية في التغني بالديمقراطية لمجرد ان الطالباني قال: (ان في العراق ديمقراطية اكثر من اي بلد في المنطقة - ومن مؤشرات الديمقراطية، "صدقوا او لا تصدقوا " حق ١٤ مليون شيعي بعد صدام في البكاء).

فهل يعرف "الشيخ المبجل " سماح ادريس ان قمع التخلف افراط في التخلف- طبعا هذا لو اعتبرنا البكاء تخلفاً مثلما يعتقده "الشيخ " الآدابي - فالبكاء غريزة بشرية سامية وتاريخ الانسانية منقوع بالدموع. ان ثقافة القمع والتجريم والتحريم والممنوع والمحظور هي ثقافة قومية وتكفيرية بلا منازع، ترتعب من البكاء ومن الضحك، تتهستر من التهكم والسخرية من الذات ومن الامة. ان اطلاق سراح التخلف من السجن والحجر ومنحه الحرية في رؤية نفسه، حيث سيكتشف اين هو ومن يكون ولماذا يفعل هذا وهل ينتمي فعلاً لعصره وزمانه ام انه شبح مقذوف في الماضي. ثم تبدأ عمليات النقد واستهجان الفعل والسلوك المتخلف، آنذاك تنطلق مخاضات تحقيق الذات ومخاضات التغيير والعيش داخل العصر لا خارجه، بحيث تتلاشى تدريجياً ظلمات التخلف عن الجسد الثقافي كلما اشرق العقل النقدي حتى تبدد آخر لطخة ظلام، وكما يقول المركيز دي صاد: ان ابشع السجون ضراوة، هي السجون الداخلية، وان لم تفتح هذه السجون، فكل ثوراتكم سجن للثورة.

ثقافة النفاق

ينخرط "الشيخ " سماح ادريس في بكاء عاو تنهمر فيه دموع مدارية لا سبيل الى توقفها وانقطاع امطارها التيزابية عن حال المرأة قائلاً: (حقوق الإنسان (والمرأة) في كردستان . العراق. يخصص تقرير "بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق. قسماً مهماً لتقصي حقوق الإنسان في المنطقة الشمالية من العراق خلال الشهور الأولى من هذا العام. صدر التقرير في نيسان ٢٠٠٧ ويتحدث عن " قلق جدي " حيال حرية التعبير، والتوقيفات، وظروف المرأة في كردستان. وفي حين أنكر مسؤولو الحكومة (التي تُشرف على أربيل والسليمانية ودهوك) ذلك، أكد ناشطون أكرادٌ من داخل أربيل (حيث مهرجانُ المدى) أنّ تقريرَ الأمم المتحدة "قصّرَ" عن ذكرِ كلِ الانتهاكات في كردستان واكتفى بذكرِ أبرزِها. يقول في هذا الصدد ناشطٌ كرديٌ يُدعى ربين رسول إسماعيل: "تُبيّن الحقيقةُ الراهنةُ أنّ حقوقَ الإنسانِ (هنا) سيّئةٌ جداً، ولستُ متفائلاً بخصوصِ مستقبلِ حقوق الإنسان في كردستان والعراق).

لا ندري كيف اطلع "الشيخ " سماح بحال المرأة العراقية، هل لبس طاقية اخفاء وطار على متن مكنسة الساحرات من بيروت الى اربيل، ام فكك احدى نبوءات نوستر ادموس التي تدور عن مدينة بابل، والا كيف ذهب الى كردستان وعرف احوال النساء هناك؟ الا يعني هذا وجود ثقوب ديمقراطية تسرب منها نزيف النساء من شمال العراق الى بيروت، ومن سمح لبعثة الامم المتحدة باجراء هذا المسح الميداني واحصاء عدد النساء المنتهكات ومعرفة ظروف المراة؟

ببساطة ساذجة وبريئة سيفهم "الشيخ " ان الديمقراطية في العراق- او قل نصف او ربع الديمقراطية- هي التي منحته هذه المعلومات مجاناً.

ولكن بقي سؤال يحوص في عب طفل عراقي بسيط وساذج وبريء: لماذا ظل "الشيخ " سماح ادريس جاهلاً ما يدور في العراق طوال "٣٥ " سنة يئن تحت افظع سلطة وأفتك دكتاتور ارتعبت منها ذاكرة الارض؟ لماذا بقي اخرس اربعة عقود على مجازر الثقافة القومية؟

نتمنى ان يتسع صدر "الشيخ " سماح ادريس ويكون بوسع صدرعزة الدوري ويتفهم بان العراق قد تحرر من سجن القومية وثقافتها العنصرية الطائفية. هذا و"دمتم للنضال في تحقيق الوحدة والحرية والاشتراكية ".

عن الصباح العراقية
٢٠٠٨/٢/١٧

وجدي موعود في لغة من نار

ترجمة / د. مهدي صالح

ها هو الكاتب المسرحي اللبناني الأصل وجدي موعود يبرهن على جدارته في الحركة المسرحية في كندا وفي أوربا، انه لبناني، تعلم اللغة الفرنسية عندما كان عمره تسع سنوات ويقيم حالياً في مقاطعة كيوبك في كندا. يقول هذا الكاتب ويكرر "لو لم تكن لدي قدمان لما تمكنت من الكتابة" إذ انه يتمتع بالمشي ويفكر كثيراً اثناء ممارسة هذه الرياضة. فهو يكتب الكثير من المسرحيات ويقوم باخراجها شخصياً. وإضافة إلى ذلك يعمل في محطات الإذاعة، ويترجم ويكتب العديد من النصوص ويقوم بنشرها في الصحف. كما قام بأخراج فلم مقتبس عن احدى الروايات ويعكف الآن على كتابة رواية بنفسه. ومن الجدير بالذكر انه يقوم اثناء سيره عدة كيلومترات بتنظيم دقات قلبه وتنفسه وافكاره وكلماته كما ويفكر بالكلمات التي سيقولها خلال لقاءاته المستقبلية. والمصطلح الذي يمكننا اطلاقه على وجدي هو "خطوة خطوة" إذ انه يتلاءم مع كل الذين يعرفون جيداً معنى المسافة الطويلة التي يجب قطعها للوصول إلى الهدف وان هنالك آلاف الكيلومترات التي يجب على الانسان ان يمشيها كي يثبت وجوده.

ولد وجدي في لبنان عام ١٩٦٨ ووصل إلى فرنسا بصحبة عائلته عام ١٩٧٧ هرباً من الحرب الأهلية التي راح ضحيتها عدد كبير من اللبنانيين. فوجد طفل التسع سنوات نفسه في فرنسا في ليلة وضحاها ولم يكن يتكلم كلمة واحدة باللغة الفرنسية، ومع مرور الوقت أخذ يحب اللغة الفرنسية وقال "اكتشفت لغة مذهلة، رائعة، جميلة بالرغم من صعوبتها، كما علمتني هذه اللغة طريقة جديدة في التفكير كما تقوم الرياضيات بوضع نظام في تسلسل الأفكار". وعندما أصبح عمره ١٨ عاماً غادر فرنسا متوجهاً إلى كندا لأن عائلته لم تتمكن من الحصول على رخصة عمل في فرنسا، كان وجدي قلقاً عند وصوله إلى كندا وكان والده يشجعه ويقول له "لا تقلق يا ولدي، سوف تتعود على الحياة في كيوبك إذ ان الناس يتكلمون اللغة" نفسها. وفي احد الايام التقى برجل فرنسي شجعه على البقاء في كندا إذ ان الانسان يستطيع التعبير عما يدور في خلده باي لغة في العالم. واستمر وجدي باستعمال العربية في البيت فقط لانها لغته الأم التي يحبها ويفتخر بها ولغة شعبه الذي تشرد وعانى كثيراً في الحرب الأهلية. وكان يشعر بالم كبير عندما يتذكر بلده وأهله وجذوره التي تم اقتلاعها، وقد عبر عن كل هذه الآلام في كتاباته بلغة فرنسية رائعة ليحكي عن قصص الطفولة وعن الحب وعن الصراعات التي قامت بتمزيق بلده وشعبه.

وعندما كان يسأل عن اللغة الفرنسية يجيب قائلاً "ان الفرنسية لغة من نار وجسم غريب يسكن في داخلي حالياً ويمتلكني مثل ساسا في رواية "المسخ" لكافكا الذي يستيقظ في صباح يوم ما ويجد نفسه بانه قد تحول إلى حشرة". ان الوحش القوي الذي يسيطر على وجدي هو الكتابة وان الأدب قد اصبح وطنه الجديد الذي ينتمي إليه في الوقت الحاضر. ويقول وجدي "عندما أسال عن بلدي الأصلي، هذا لا يعني أي شيء بالنسبة لي. لا يهمني ان اكون لبنانياً او فرنسيا او كندياً. اريد ان اصبح تشيكياً مثل كافكا".

يقيم وجدي حالياً في مونتريال ويعمل في الوقت نفسه مشرفاً على احدى الفرق المسرحية في باريس إذ يسافر كثيراً بين كندا، وفرنسا. ويكتب في روايته الجديدة عن رجل قتلت زوجته بوحشية ويقرر ان يعبر قارة امريكا الشمالية من الشرق إلى الغرب وصولاً إلى مدينة سان دييجو في ولاية كاليفورنيا. وستكون رحلته رحلة الم وخلاص سيعبر عنه بلغة كل حيوان سيلتقي به. فكيف سيتمكن من التعبير عن الهروب والخلاص في لغة القط، والكلب، والغراب والنمل والدب؟ ذلك ما سنكتشفه في روايته الجديدة.